السنة السَّادسة والثلاثون بعد المئة

فيها قدم عبد الله بنُ عليٍّ من الشام إلى الأنبار، وأبو العباس بها في قصره، وقيل: كان بالهاشمية، فأكرمه، وعقَدَ له على الصائفة في أهل خراسان مضافاً إلى قِنّسرين، وحمص، وحماة، والعواصم، ودمشق، والشام، فعاد إلى الشام.

وفيها عهِدَ أبو العباس إلى أخيه أبي جعفر، ومن بعده إلى عيسى بن موسى، وختَمَ على العهد بخاتمه وخواتيم أهل بيته، وكان قد مرض وأخوه أبو جعفر في الحجّ فخاف.

وفيها كتب أبو مسلم إلى السفَّاح يستأذنه في الحج، فأذِنَ له، فقدِمَ عليه بالأنبار، فأمر الناسَ بتلقِّيه، فتلقَّاه الأشراف، ولما دخل على أبي العباس أكرمَه، وأنزله قريباً منه، فكان كلّ يوم يأتيه للسلام، فقال السفَّاح: لولا أن أبا جعفر يحجُّ العام لاستعملتُك على الموسم. وكان ما بين أبي جعفر وأبي مسلم متباعداً، وكان أبو العباس لمَّا صفَتْ له الأمور بعث أبا جعفر إلى أبي مسلم يأمره أن يأخذ البيعةَ لأبي العباس وأخيه أبي جعفر من بعده، ففعل.

فلما قدم أبو مسلم على أبي العباس قال له أبو جعفر: أُقتله؛ فوالله إنَّ في رأسه لغَدْرة، وأطعني فيه، فقال له: يا أخي، قد عرفتَ ما كان من بلائه وقيامه في أمرنا، فقال: إنما كان ذلك بدولتنا، ولو أقمتَ أقلَّ الناس لقام به. قال: فكيف بأصحابه؟ قال: إذا قتلناه ذلُّوا وتفرَّقوا، وأنا أتولَّى قتلَه إذا دخل عليك، فقال له: يا أخي، عزمتُ عليك إلا كففتَ عن هذا، فقال له: أخاف إن لم تتغدَّ به اليوم يتعشَّى بنا غداً. قال: فدونَكَه.

وخرج أبو جعفر عازماً على قتله، وندم أبو العباس، فبعث إليه خصيًّا، فوجده محتبياً بسيفه، فقال له: أمير المؤمنين يقول لك: الأمرُ الذي عزمتَ عليه لا تنفذه، فكفَّ أبو جعفر[1].

---

(١) تاريخ الطبري ٧/ ٤٦٨-٤٦٩. وانظر الإمامة والسياسة لابن قتيبة ٢/ ١٣٢، وعنده: فوجده محتفياً بسيفه، بدل: محتبياً.

وفي رواية: كتب أبو مسلم إلى أبي العباس يستأذنُه في الحجّ، فأذِنَ له، وكتب إليه أن اقدم في خمس مئة من الجند، فكتب أبو مسلم: إني قد وتَرتُ[١] الناس، فلا آمنُ على نفسي، فكتب إليه: فأقبِلْ في ألف، فإنما أنتَ في سلطان أهلك، وطريقُ مكة لا تحمل العسكر، فشخَصَ في ثمانية آلاف فرَّقهم فيما بين نيسابور والرَّي، وقدم بالأموال والخزائن، فجعلها في الرَّي، ثم قدم في ألف، وكان أبو جعفر على الجزيرة وإرمينية وأذربيجان، فاستأذن أخاه في الحجِّ فأذنَ له، فقدم عليه، واستخلف على عمله مقاتل بن حكيم العكّي.

ولما دخل أبو مسلم على أبي العباس كان عنده أخوه أبو جعفر، فلم يُسلِّم عليه أبو مسلم، فقال له أبو العباس: يا أبا مسلم، هذا أخي أبو جعفر، فقال: إنَّ مجلس أمير المؤمنين لا تُقضى[٢] فيه الحقوق.

قال أبو اليقظان: كتب أبو مسلم إلى أبي العباس يستأذنُه في الحجِّ، فكتب إليه: الجهادُ أفضل. فكتب إليه: إني حججتُ بغير مالي، ولا بدّ لي منه، فأذِنَ له، فسار إلى العراق، وقال في طريقه لخواصِّه: إني أرجو أن يموت أبو العباس، فأغلِبَ على الأمر. وكتب عيونُ أبي العباس إليه بذلك، فلما دخل عليه رأى من أبي العباس جفوةً، فلما شاوره أخوه، وأشار بقتله، علم أنَّ أبا جعفر فيه على الصواب، وعزم على قتله، ثم توقَّف.

وقال أبو الهيثم: إنما قصد أبو مسلم بالحجِّ أن يصلِّي بالناس، ويقف بعرفة، وفهم أبو العباس، فكتب إلى أخيه أبي جعفر، وكان بالجزيرة: إن أبا مسلم قد استأذن للحج، وهو يظنُّ أني أولِّيه الموسم، فاقدَم حاجّاً؛ لئلا يقدَم، فقدِم أبو جعفر، واستخلف على أرمينية الحسن بن قحطبة، وقدم بعده أبو مسلم، فقال: ما وجد أبو جعفر عاماً يحجُّ فيه غيرَ هذا؟ ثم سار أبو جعفر وأبو مسلم إلى الحجّ.

قال هشام: فكان أبو مسلم يتقدَّم أبا جعفر بمرحلة، فكان يحفر البِرَكَ والمصانع، ويتصدَّق، ويحمل المنقطعين، فكان الصِّيت والذِّكر له، ولما انقضى الحجُّ نفر أبو

(١) في (د) و(خ): زبرت، والمثبت من الطبري ٧/ ٤٦٩، والمنتظم ٧/ ٣٣٣.

(٢) في (د): لا يقصر، وهي في (خ) غير منقوطة، والمثبت من أنساب الأشراف ٣/ ١٨٨.

مسلم قبل أبي جعفر، فازداد حَنَقاً عليه، ولما عاد من الحج نزل أبو مسلم بذات عِرْق، ونزل أبو جعفر ببستان ابن عامر، فجاء الخبر بوفاة أبي العباس وولايته بعدَه، ومن بعده عيسى بنُ موسى، وأنَّ عيسى هو الذي أخذ البيعة لأبي جعفر.

وقال الهيثم: لما أخذ البيعةَ له عيسى بنُ موسى في اليوم الذي مات فيه أبو العباس كتب إليه يخبره بذلك، وبعث بالكتاب مع محمد بن الحُصَين العَبْديّ، فالتقى أبا جعفر بمكان يقال له: ضُفينة[1]، فتفاءل أبو جعفر، وقال: صفا لنا أمرُنا. وقيل: بمكان يقال له: ذلة[2]، فقال: ذلَّ لنا الأمرُ، فأرسل إلى أبي مسلم يقول له: قد حدَثَ أمرٌ، فأسرع إليَّ، فجاءه، فألقى إليه الكتابَ، فلما قرأه بكى واسترجع، ونظر إلى أبي جعفر، فرآه قد جَزِعَ جزعاً شديداً، فقال له: تأتيك الخلافةُ وتجزع؟ فقال: أخافُ شرَّ عبد الله بن عليٍّ، وشيعة[3] عليّ، فقال: لا بأس عليك، أنا أكفيكَ أمرَه؛ لأنَّ عامَّة مَنْ معه من خراسان، وهم لا يعصوني، فسُرِّي عن أبي جعفر، وبايعه أبو مسلم، ثم قَدِما الكوفة.

(١) كذا في (د) و (خ)، وهو موافق لما في مختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٣١٣، وفي الطبري ٧/ ٤٧١، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٦٤: الصُّفَيَّة. وانظر معجم البلدان: ٣/ ٤١٥.

(٢) في تاريخ الطبري ٧/ ٤٧١، وتاريخ اليعقوبي ٢/ ٣٦٤: زَكِيَّة. وانظر معجم البلدان ٣/ ١٤٦.

(٣) في (د): وشغبه. والمثبت موافق لما في الطبري ٧/ ٤٧٢.

الباب الثاني

في خلافة أبي جعفر عبد الله بن محمد بن عليٍّ بن عبد الله بن العبَّاس

وهو أبو الخلفاء العباسيِّين من لدنه وإلى هلمَّ جرّا، وأمُّه سَلامةُ، بَرْبَرِيَّة، وقيل: هي بنتُ بشير، مُزَنية.

وُلد بالشَّراة في اليوم الذي مات فيه الحجَّاج بنُ يوسف سنة أربع وتسعين في ذي الحجَّة، وفيه أعذر، وفيه ولي الخلافة، وفيه مات.

وقالت أمُّه سلامة: لما حملتُ به رأيتُ في منامي كأنَّ أسداً خرج من فرجي، فأقعى وزأر، وضرب بذنبه الأرض، فأقبلتْ إليه الأُسد من كلِّ جانب ومكان، فكلَّما انتهى إليه أسدٌ سجد له.

صفته:

كان أسمر، طوالاً جداً، نحيفاً، خفيف العارضين، معرق الوجه بالسواد، يتطيب في كل شهر بألف مثقال طيب يخضب به رأسَه ولحيتَه.

وقيل: لم يكن يُغيِّر شيبَه إلا بالطِّيب، وكان له أبهة الملوك في زي النساك، يعرف الشرف في تواضعه، والعقل في مشيته، تقبله القلوب، وتتبعه العيون، لم يزل مشهوراً بطلب الفقه والآثار، وفيه يقول ابن هَرْمة[1]: [من الطويل]

لـه لـحـظـاتٌ فـي حِـفـافَـيْ سـريـرِه ... إذا كـرَّهـا فـيـهـا عـقـابٌ ونـائـلُ
كـريـمٌ لـه وجـهـان وجـهٌ لـدى الرِّضـا ... أسـيـل ووجـهٌ فـي الـكـريـهـة بـاسـلُ
وأمُّ الـذي أمَّـنـتَ آمـنـةُ الـرَّدى ... وأمُّ الـذي أوعـدتَ بـالـثُّـكـل ثـاكـلُ
ولـيس بـمـعـطـي الـعـفـوَ عـن غـيـر قـدرةٍ ... ويـعـفـو إذا مـا أمـكَـنَـتْـه الـمَـقـاتـلُ

وكان والده محمد بنُ عليٍّ وجَّهه إلى البصرة يدعو إلى الرضا من آل محمد ﷺ، فلمَّا قدم البصرةَ كان يأتي عمرو بنَ عُبَيد ويتألَّفه، فلما عاد إلى الشَّراة سمعه أبوه يذكر

(١) ديوانه ص ١٦٨ وما بعدها.

شيئاً من كلام عمرو، ويُقايس فيه، فقال محمد: هذا والله كلام مولى بني تميم، يعني عمرو بنَ عُبيد، وكان ينكره[١].

ذكر بيعته:

بويع في ذي الحجَّة بالأنبار يوم الأحد لثلاث عشرة خلت منه، وقيل: لاثنتي عشرة ليلة خلت منه، أو مضت منه، وهو ابنُ إحدى وأربعين سنة، أو اثنتين وأربعين، وهو أولُ من لُقِّب بالمنصور.

وقال أبو نعيم: قدم أصبهان مع عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر، وخرج منها إلى فارس[٢].

وكان يقال له: عبد الله الطويل، وكان يلقَّب بالدَّوانيقي، وسببُه أن سائلاً سأله قبل أن يلي الخلافة، ولم يكن معه سوى ثلاثة دوانيق، فدفعها إليه، فلقِّب بذلك.

وقال محمد بنُ إبراهيم الإمام: قال المنصور يوماً ونحن جلوس عنده: أتذكرون رؤيا رأيتُها ونحن بالشَّراة؟ قلنا: ما نذكُرُها، فغضب، وقال: كان ينبغي لكم أن تَكتبوها في ألواح الذهب، وتعلِّقوها في أعناق الصبيان، فقال له عيسى بنُ موسى: يا أمير المؤمنين، إن كنَّا قصَّرنا فنحن نستغفر الله من ذلك، فحدِّثنا، قال: نعم، رأيتُ كأنِّي في المسجد الحرام، وبابُ الكعبة مفتوح، وكان رسولُ الله ﷺ فيها، إذا بمنادٍ ينادي: أين عبد الله بن محمد؟ فقام أخي أبو العباس، فتخطَّى رقابَ الناس حتى صار على درج البيت، فأخذ بيده، فأدخل البيت، فما لبث أن خرَجَ علينا ومعه لواء قدر أربعة أذرع وأرجح، وخرج من باب المسجد، ثم نُودي: أين عبد الله؟ فقمتُ أنا وعبد الله بنُ علي نستبِقُ حتى صِرْنا إلى الدرجة، فجلس وأخذ بيدي، فأُصعدت وأدخلتُ الكعبة، وإذا برسول الله ﷺ جالس عنده أبو بكر وعمر وبلال ﷺ، فعقَدَ لي لواءً، وأوصاني بأمَّته، وعمَّمني بيده بعمامة كان طولُها ثلاثة وعشرين ذراعاً، ودفع إلي اللواء، وقال: خُذْها إليك يا أبا الخلفاء خالدةً إلى يوم القيامة[٣].

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٧-٢٥٥.

(٢) أخبار أصبهان ٢/ ٤٣.

(٣) المنتظم ٧/ ٣٣٦-٣٣٧.

قال المصنف رحمه الله: وقد ولي الخلافةَ أخوان، وثلاثة، وأربعة؛ فأمَّا الأخوان فأبو العباس وأبو جعفر، وموسى وهارون، والواثق والمتوكِّل، والمسترشِد والمقتفي، وأما الثلاثة فالأمين والمأمون والمعتصم، والمقتدر والمقتفي والقاهر، والراضي والمتَّقي والمطيع، وأما الأربعة فلم يكونوا إلا في بني مروان الوليد وسليمان ويزيد وهشام بنو عبد الملك[١].

وبعث عيسى بنُ موسى إلى عبد الله بن عليٍّ بأن يأخذ البيعة لأبي جعفر على الناس، ويُبايع له قبل قدوم أبي جعفر من الحجِّ، وبعث بالكتاب مع يزيد بن زياد، فانصرف عبدُ الله بمن معه من الجيوش من الشام، فنزل حرّان، وبايع لنفسه؛ لما نذكر.

ورخصت الأسعار عند ولاية أبي جعفر الخلافة، حتى بيع الكبشُ بدرهم، والحمل بأربعة دوانيق، والتمر ستون رطلاً بدرهم، والزيتُ عشرة أرطال بدرهم، والسمنُ ثمانية أرطال بدرهم[٢].

ولما عاد من الحجِّ كتب إليه بعضُ إخوانه الذين كانوا يعاشرونه من قبل: [من مجزوء الكامل]

إنا بطانتُك التي ... كنَّا نكابدُ ما تكابدْ
ونُرى فنُعرف بالعدا ... وة والعناد لمن تُعاندْ
ونبيتُ من خوف عليـ ... ـك ربيئة[٣] والليلُ هاجدْ
هذا أونُ وفاء ما ... سبقَتْ به منك المواعدْ

فكتب عليها أبو جعفر: صدقتَ، وألحقه بخاصته[٤].

[فصل][٥] وفيها تُوفي

---

(١) المدهش ص ٦٨.

(٢) المنتظم ٧/ ٣٤٨، وفيه: والزيت ستة عشر رطلاً بدرهم.

(٣) في (د) و (خ): وجنة؟! والمثبت من العقد الفريد، والربيئة: الطليعة التي تتقدم القوم.

(٤) العقد الفريد ٢/ ١٦٨.

(٥) ما بين حاصرتين من (د).

ربيعة بن أبي عبد الرحمن

فرُّوخ مولى آل المنكدر، التيميّ[١]، أبو عثمان، وقيل: أبو عبد الرحمن، ويقال له: ربيعة الرأي، وهو من الطبقة الرابعة من أهل المدينة.

وكان إذا مرض وضع الموائد لعوَّاده يأكلُ منها كلُّ مَنْ يعوده، فلا يزال كذلك حتى يخرج.

وقال مالك: ذهبت حلاوةُ الفقه منذ مات ربيعة.

وقال ربيعة: إنما الناس في حجور علمائهم كالصبيان في حجور آبائهم ومن يتولَّاهم.

وكانت لربيعة مروءةٌ وسخاء، مع فقهٍ وعلم، وكانت له حلقة في مسجد رسول الله ﷺ، وكان محمد بنُ عليِّ بن الحسين وابنُه جعفر يجلسان في حلقته.

وقال الليث بن سعد، [عن يحيى بن سعيد][٢]: ما رأيتُ أسَدَّ عقلاً من ربيعة. وكان صاحب معضلات أهل المدينة، ورئيسَهم في الفتيا.

وكان فرُّوخ خرج في البعوث إلى خراسان غازياً [وربيعةُ حَمْل][٣]، وخلَّف عند أم ربيعة ثلاثين ألف دينار، وقدم المدينة بعد سبع وعشرين سنة وهو راكبٌ على فرس، وبيده رمح، فنزل عن فرسه، ثم دفع الباب، فخرج ربيعةُ وقال له: يا عدوَّ الله، أتهجُم على منزلي؟ فقال فرُّوخ: يا عدو الله أنت، دخلتَ على حَرَمي! وتَواثَبا، وتلبَّبَ كلُّ واحد منهما على صاحبه، حتى اجتمع الجيران، وبلغ مالك بنَ أنس والمشيخة، فأتوا يعينون ربيعة، وجعل ربيعة يقول: والله لا أفارقُك إلا عند السلطان، وفرُّوخ يقول كذلك، وكثُرَ الضجيج، فلما بَصُروا مالكاً سكت الناس كلُّهم، فقال مالك: أيها الشيخ، لك في غير هذا المنزل سَعَة، فقال فرُّوخ: هي داري، وأنا فرُّوخ. وسمعت امرأتُه كلامَه فخرجت، فلما رأته قالت: هذا والله زوجي، وهذا ابنُه الذي خلَّفه وأنا

(١) تحرفت في (د) و (خ) إلى: السمين.

(٢) ما بين حاصرتين من تاريخ بغداد ٩/ ٤١٧.

(٣) ما بين حاصرتين من (د).

حامل به، فاعتنقا جميعاً، وبكيا، ودخل فرُّوخ المنزل وقال: أخرجي المالَ الذي عندك، وهذه أربعة آلاف دينار معي، فقالت: المال دفنتُه.

فخرج ربيعةُ إلى المسجد وجلس في حلقته، وأتاه مالك بنُ أنس، والحسن بنُ زيد، وابنُ عليٍّ اللَّهَبي، وأشراف المدينة، وأحدق الناس به، فقالت له امرأته: اخرج وصلِّ في مسجد رسول الله ﷺ، فخرج فنظر إلى الحلقة فرآها وافرة، فوقف عليها ورآه ربيعة، فنكس رأسَه يُوهمه أنه لم يره، فقال فرُّوخ لرجل إلى جانبه: مَنْ هذا؟ قال: ربيعة. فقال: لقد رفع الله ابني، ثم رجع إلى منزله، فقال لأمه: لقد رأيتُ ابنَك في حالة من العلم والفقه ما رأيتُ أحداً من أهل العلم عليها، فقالت له: أيُّما أحبُّ إليك ثلاثون ألف دينار أو الحالة التي رأيتَه فيها؟ قال: لا والله إلا هذا. قالت: فإنِّي أنفقتُ المال كلَّه عليه حتى صار كذا، فقال: نعم ما فعلتِ، والله ما ضيَّعته[1].

وقال ابنُ وهب: تعبَّد ربيعة دهراً طويلاً يصلِّي النهار والليل، وجالَسَ القاسم بنَ محمد، فنطق بعقلٍ ولبٍّ، فكان القاسمُ إذا سُئل عن شيء يقول: سلوا ربيعة.

وقال سوَّار بنُ عبد الله: ما رأيتُ أحداً أعلم من ربيعة الرأي، فقال له معاذ بنُ معاذ: ولا الحسنَ وابن سِيْرين؟ قال: لا، ولا الحسنَ، ولا ابنَ سِيْرين.

وقال بكر بنُ عبد الله الصَّنعاني: أتينا مالك بنَ أنس، فجعل يُحدِّثنا عن ربيعة، وكنَّا نستزيده، فقال لنا ذات يوم: ما تصنعون بربيعة؟ هو نائم في ذاك الطاق، فأتيناه، فأنبهناه وقلنا له: أنتَ ربيعةُ الذي يُحدِّث عنك مالك بنُ أنس؟ قال: نعم. قلنا: كيف حظِيَ بك مالك ولم تحظَ أنت بنفسك؟ فقال: أما علمتُم أن مثقالاً من دولة خيرٌ من حِمْل علم؟

واستقدمه أبو العباس إلى الأنبار ليولِّيه القضاء، فلما أراد الخروج قال لمالك: إنْ سمعتَ أنِّي حدثتُهم، أو وَلِيتُ لهم قضاء، أو قبلتُ منهم مالاً، أو أفتيتُهم، فلا تعدَّني شيئاً، فلما قدم على السفاح استدعى منه ذلك، وبعث إليه بخمسة آلاف درهم، فلم

(١) أورد الذهبي هذه القصة في السير ٦/ ٩٣-٩٤، ووصفها بقوله: حكاية باطلة. ثم عقب بنقدها، فانظر كلامه ثمة.

يقبلها، ولم يَلِ شيئاً، ولا حدَّثهم بشيء، ولا أفتاهم.

وقال إبراهيم بنُ المنذر: سعى أبو الزناد بربيعة إلى عامل المدينة في شيء، فأخذ ربيعةَ، فجلَدَه وحلَقَ رأسَه ولحيتَه، ثم عُزِل ذلك العاملُ، ووَلي آخرُ من بني تيم، فأخذ أبا الزناد، فأدخله بيتاً، وسدَّ بابَه ليقتله جوعاً وعطشاً عوضَ سِعايته بربيعة، وبلغ ربيعةَ، فجاء إلى الوالي، فسأل في أبي الزناد، فقال الوالي: وهل فعلتُ به ذلك إلا لما سعى بك؟ فقال: أمَّا أنا فأحاكمه غداً إلى الله تعالى، وأما في الدنيا فلا، ولابدَّ من إخراجه، فأخرَجَه.

ولما ضُرب وحُلقت لحيتُه كانت امرأةٌ تأتي إلى حلقته كلَّ يوم في المسجد وتقول: يا أبا عبد الرحمن، انتقَمَ الله ممَّن حلَقَ لحيتَك، فلما أبرَمَتْه قال لها: يا هذه، إن ذاك حلَقَها مرةً، وأنت تحلقينها كلَّ يوم.

توفي بالأنبار في هذه السنة، وقيل: رجع إلى المدينة فمات بها، وقيل: مات سنة ثمان وثلاثين ومئة.

سمع من أنس بن مالك، وعامَّة التابعين من أهل المدينة، وروى عنه الثوريُّ، ومالك، وشعبة، والليث، وغيرهم. واتفقوا على صدقه، وثقته، ودينه، وورعه.

وجاءه رجل من الفقهاء، فجلس إليه، فقال له: إذا جاءك رجلٌ يسألُك عن مسألة فلا يكن همُّك أن تخرجَه مما وقع فيه، وليكن همُّك أن تتخلَّص مما سألك عنه.

وقال سفيان الثوريُّ: كنتُ جالساً يوماً عند ربيعة، فغطَّى رأسَه، ثم بكى واضطجع، فقلت: ما يبكيك؟ [قال:] رياء ظاهر، وشهوةٌ خفيَّة[1].

عبد الله بنُ محمد

ابنِ عليِّ بن عبد الله بن العباس، أبو العباس السفَّاح.

أولُ من أجاز بألف ألف درهم: قدم عليه في خلافته عبد الله بنُ حسن بن حسن، فأكرمه، وأنزله قريباً منه، فقال له يوماً: يا أمير المؤمنين، سمعتُ بألف ألف درهم،

(١) ما بين حاصرتين من مختصر تاريخ دمشق ٨/ ٢٨٨. وانظر في ترجمة ربيعة الرأي: طبقات ابن سعد ٧/ ٥٠٩-٥١١، وتاريخ بغداد ٩/ ٤١٤-٤٢٢، والمنتظم ٧/ ٣٤٩-٣٥١، والسير ٦/ ٨٩-٩٦.

وما رأيتُها قطُّ، فأمر بها أبو العباس فأحضرتْ، فلما رآها عبد الله استهالها، فقال: احملوها معه إلى منزله، فجاء الناس يهنُّونه، فقال عبد الله: أتشكرون رجلاً أعطانا بعضَ حقِّنا وفاز بالباقي؟ وبلغ أبا العباس، فلم يقل شيئاً[1].

واجتمع عند السفاح وجوهُ بني هاشم والشيعةُ، وكان المجلس أحشَد ما يكون، فقام عبد الله بنُ حسن بن حسن، وبيده مصحف، فقال: يا أمير المؤمنين، أعطِنا حقَّنا الذي جعله الله لنا في هذا الكتاب. فأشفق الناسُ أن يعجّلَ إليه أبو العباس بشيء، ولا يريدون ذلك في شيخ قريش وسيِّد بني هاشم، أو يعيى بجوابه، فيكون ذلك ردّاً ونقصاً له، فأقبل عليه غير متأثر ولا مُغْضَب، فقال له: إن جدَّك علياً كان خيراً مني وأعدل، وَلي هذا الأمرَ، فأعطى جدَّك الحسنَ وعمَّك الحُسين شيئاً، وكانا خيراً منك، وكان الواجبُ أن أعطيك مثلَه، فإن كنتُ فعلتُ فقد أنصفتُك، وإن كنتُ زدتُك فما هذا جزائي منك. فعجِبَ الناسُ من حسن جوابه[2].

وقال حَفْص بنُ عمر: قدم عبد الله بنُ حسن بن حسن على أبي العباس في خلافته، فأكرمه وحباه، وقرَّبه وأدناه، وصنع به شيئاً لم يُصنع بأحد، وكان بالأنبار، وكان عبد الله يسمُرُ عنده، فسمر عنده ليلة إلى نصف الليل يحادثه، ودعا أبو العباس بسفطٍ فيه جوهرٌ، ففتحه وقال: هذا والله يا أبا محمد الذي وصل إليَّ من الجوهر الذي كان في يدي بني أمية، ثم قاسَمَه إيَّاه، فأعطاه نصفه، وبعث بالنصف الآخر إلى أمِّ سلمة امرأته، وقال: هذا عندك وديعةٌ، ثم تحادثا ساعةً، ونعس السفاح، فتمثَّل عبد الله، وقال: [من الوافر]

ألـم تَـرَ حَـوْشـبـاً أمـسـى يُـبَـنِّـي ... قـصـوراً نـفـعُـهـا لـبـنـي نُـفَـيـلـهْ
يـؤمِّـل أن يُـعـمَّـر عـمـر نـوحٍ ... وأمـرُ الله يـأتـي كـلَّ لـيـلـهْ

فانتبه أبو العباس، ففهم، وقال: يا أبا محمد، تتمثَّل بمثل هذا الشعر عندي وقد رأيتَ صنيعي بك ولم أدخر عنك شيئاً؟! فقال: يا أمير المؤمنين، هفوةٌ كانت والله ما أردتُ بها سوءاً، ولكنها أبياتٌ خطرت لي فتمثَّلت بها، فإن رأى أميرُ المؤمنين أن

(١) أنساب الأشراف ٣/ ١٨٦.
(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٢٣٩.

يحتمل ما كان منِّي في ذلك فليفعل. قال: قد فعلتُ[١].

وقال البلاذريّ: قدم عبد الله على السفاح [فأخذ بيده][٢] وهو يمرُّ به على قصوره بالهاشمية يُريه إيَّاها، وكان معجباً بها، فأنشد عبد الله البيتين، فغضب السفاح، واحمرَّت عيناه، وجذب يدَه من يده، وقال: ما أردتَ بهذا؟ فقال: أُزَهِّدُك فيها، فقال السفاح: [من الوافر]

أريدُ حياتَه ويريدُ قتلي عذيرَكَ من خليلكَ من مراد[٣]

وكان الحسدُ غالباً على عبد الله للسفَّاح، ولا ينهاه عن ذلك إكرامُه له، ولما أنشد الشعر قال له السفاح: أفٌّ لك، ما يُهلك الحسودَ نفسُه ولسانُه، اخرج عنِّي. فخرج إلى المدينة.

وقال الزُّبير بن بكَّار: كتب [أميرُ المؤمنين أبو العباس] إلى عبد الله بن حسن يذكر له تغيُّب[٤] ابنيه محمد وإبراهيم، وكتب في كتابه: أريد حياته ويريد قتلي، فكتب عبد الله ابنُ حسن، وقال: [من الوافر]

وكيف يريدُ ذاك وأنتَ منه بمنزلةِ البياض من السَّواد

ويعني قول عبد الله: قصوراً نفعُها لبني نُفيله: نفيلة أمّ ولد الحسن بن عليٍّ[٥] رضي الله عنهما، جاءت منه بالقاسم، وأبي بكر، وعبد الله، قُتِلوا مع الحسين رضي الله عنه يوم الطَّفوف.

قال أبو اليقظان: قدم على السفَّاح بنو الحسن بن عليٍّ، فأحسن إليهم، وأعطاهم الأموال، وأقطَعَهم القطائع، وقال لعبد الله: احتكِمْ. قال: ألف ألف درهم، فاستقرَضَها السفَّاح من ابن مقرن البصري[٦].

---

(١) طبقات ابن سعد ٧/ ٤٧٥-٤٧٦، وتاريخ دمشق ٣٣/ ١٩٥.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

(٣) البيت لعمرو بن معدي كرب، وهو في ديوانه ص ١١١. وفي (أ) و (خ): عذرتك، والمثبت من الديوان. والسياق الذي ذكره المصنف لم نقف على من وافقه عليه، وقد أورد ابن عساكر الخبر في تاريخ دمشق ٣٣/ ١٦٤-١٦٥ بما يوافق ما سيذكره المصنف نقلاً عن الزبير بن بكار، وانظر أنساب الأشراف ٢/ ٤١٠.

(٤) في (د) و (خ): بغية، والمثبت من تاريخ دمشق ٣٣/ ١٦٤، وما بين حاصرتين منه كذلك.

(٥) في (د) و (خ) والمنتظم ٨/ ٩٢: الحسين بن علي، وهو تحريف. انظر نسب قريش ص ٥٠، وجمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٣٩.

(٦) في العقد الفريد - والخبر فيه - ٣/ ٧٤: الصَّيرفي.

وأُتي أبو العباس بجوهرٍ، فجعل يُقلِّبه وعبدُ الله يبكي، فقال له أبو العباس: يا أبا محمد، ما يُبكيك؟ فقال: هذا عند بنات مروان، وما رأت بناتُ عمِّك مثلَه قطّ، فحَبَاه به.

ودخل عليهما أبو جعفر فقام السفاحُ، وأخذ بيد عبد الله، وجعل يُرِيه قصورَه بالهاشمية، فتمثَّل عبد الله بالشعر، فقال له أبو جعفر: ألا تسمع؟ إنّ هذا يظنُّ أن الأمر يصلُ إليهم! فقال عبد الله: ما ذهبتُ هذا المذهب، وإنما هي كلمةٌ جرَتْ على لساني لم أتعمَّدها، وخشَّنت تلك الكلمةُ صدر أبي العباس.

وخرج عبد الله إلى المدينة، فبعث السفاح رجلاً من ثقاته معه، وأمره أن يضبط ما يسمعُ منه، فلمَّا قدم عبد الله المدينةَ اجتمع إليه الطالبيون، ففرَّق فيهم الأموالَ التي أعطاه السفاح، واستأثر بالجوهر، وكان قيمتُه مئتي ألف دينار، وفرح الطالبيون بالأموال، فقال لهم عبدُ الله: أفرحتُم؟ قالوا: وكيف لا نفرحُ بما كان محجوباً عنا بأيدي قوم آخرين؟! وعاد الرجل فأخبر السفَّاح، فلم ينطق، وصبر لينظر ما يكون منهم، وبلغ أبا جعفر وأعمامَ السفاح فقالوا: أدِّبه، فقال: العفو أقربُ إلى التقوى، والتغافل من أخلاق الكرام، ومات على ذلك، وقام أبو جعفر، ففعل بهم ما فعل.

وقال الهيثم: لما أنشد عبدُ الله الشِّعر وغضب السفَّاح بلغ أبا جعفر، فقال: الرِّفق أولى. وبلغ السفاحَ قولُه، فقال: أيقول لي هذا؟ والله لا كان حَتْفُ عبد الله وبَني حسنٍ إلا على يده. فكان كما قال[1].

وكان السفَّاح يسمع الغناء من وراء السّتارة، ويطرَبُ، ويُجيز عليه في الحال، ويقول: نتعجَّل السُّرور، ونؤجِّل مكافأته؟

وأول من أحدث السِّتارة بينه وبين ندمائه في الجاهلية أزدشير بنُ بابك، والسفَّاح في الإسلام.

قيل لأبي العباس: الخلافةُ جليلة، فلو احتجبتَ عن مَنْ يشاهدك كان أكثر هيبةً، فاحتجَبَ.

---

(١) الأخبار السالفة في العقد الفريد ٣/ ٧٤-٧٥، وانظر المنتظم ٧/ ٣٠٠.

وكان من أبسط الناس على الطعام، فكان من أراد [أن] يسألَه حاجةً سأله وهو على الطعام، وكان إبراهيم بن مخرمة الكندي لا يسألُه إلا وهو على المائدة، فقال له يوماً: [يا] إبراهيم، ما دعاك إلى أن تشغلني عن الطعام بحوائج الناس؟ فقال: التماسُ النجاح لمن أسألُ له، فقال له السفَّاح: لله درُّكَ، إنك لخليقٌ بالسُّؤْدُد بحسن فطنتك.

وكان السفاح أحلَمَ الناس، وأعقَلَهم، وأسخاهم، مدَحَه [وأهلَه][1] أبو عطاء السِّنديُّ فلم يُعطه شيئاً، فهجاهم، وقال: [من الطويل]

بني هاشمٍ عودوا إلى نَخَلاتكم ... فقد عاد بيعُ التمر صاعاً بدرهم
فإن قلتُمُ رهطُ النبيِّ محمد ... فإنَّ النصارى رهطُ عيسى ابن مريمِ[2]

وبلغ السفاحَ فلم يقل شيئاً، فقيل له: عاقبه، فقال: لا أجمعُ له بين العقوبة والمنع.

وكتب إليه رجلٌ سِعاية، فكتب عليها: تقرَّبتَ إلينا بما يُبعدكَ عنَّا.

ومرَّ يوماً ومعه عيسى بنُ موسى على فَعَلةٍ، فقال: إن السعيد مَنْ سلم من الدنيا، ولوددتُ أني لم أتقلَّد منها شيئاً، ولهؤلاء أحسنُ حالاً منَّا، وأخفُّ ظهراً، فقال له عيسى: لقد أحسن الله إليك إذ أنقذَ بك الأمةَ من جَوْر بني أُميَّة.

وكان السفّاح يقول: لأستعملنَّ اللينَ حتى لا تنفع إلا الشدَّة، ولأُغمدنَّ سيفي إلا أن يسلَّه الحقّ، ولأُعطينَّ حتى لا أرى للعطاء موضعاً.

وخرج يوماً متنزِّهاً بظاهر الأنبار، فأمعَنَ في البرية، فشذَّ عن أصحابه، فوافى خِباءً لأعرابيٍّ، فوقف وسلم عليه، فردَّ وقال: ممَّن الرجل؟ فقال: من كِنانة. قال: من أيِّ كِنانة ؟ قال من أبغض كنانة إلى كنانة. قال: فأنتَ من قريش؟ قال: نعم. قال: فمن أيِّ قريش؟ قال: من أبغض قريش إلى قريش. قال: فإذاً أنتَ من ولد عبد المطَّلب؟ قال: نعم. قال: فمن أيِّ ولد عبد المطَّلب؟ قال: من أبغض ولد عبد المطَّلب إلى ولد عبد المطَّلب. قال: فإذاً السلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ورحمةُ الله وبركاته، ووثَبَ قائماً، فاستحسَنَ أبو العباس ذلك منه، وأمر له بجائزة سَنِيَّة.

---

(١) ما بين حاصرتين لم يرد في (خ)، وأثبتناه من (د).

(٢) البيتان، وما أشار إليه المصنف من مدح أبي عطاء للسفاح في أنساب الأشراف ٣/ ١٨٥.

ذكر وفاته:

نظر يوماً في المرآة ـ وكان من أحسن الناس وجهاً ـ فقال: اللهمَّ إني لا أقولُ كما قال سليمان بنُ عبد الملك: أنا الملكُ الشابّ، ولكنِّي أقول: اللهمَّ عمِّرني طويلاً في طاعتك بخير وعافية، فما استتمَّ كلامَه حتى سمع غلاماً من غلمانه يقول لغلام آخر: الأجلُ بيننا شهران وخمسةُ أيام، فتطيَّر من ذلك، فما مضت الأيامُ حتى أخذته الحمَّى، فمات بعد شهرين وخمسة أيام.

وقال المسيِّب الضبِّيّ: اجتمع للسفَّاح فتحُ السِّند وإفريقية، ومكاتبةُ صاحب الأندلس، فقال لبعض عمومته: أسمعتَ أنه إذا فُتح السِّند وإفريقية ماتَ القائمُ من آل محمد، فقال عمُّه: كلا، فما برح حتى دعا بدُوَّاج لقشعريرة أصابته[1].

وقال عيسى بنُ عليّ: أتيتُ في بعض الأيام إلى باب أبي العباس، فوجدتُ عليه رجلين، فسلَّم عليَّ أحدُهما، فقلتُ: من أنتَ؟ فقال: وافدُ السِّند، أتيتُ بطاعةِ أهلها إلى أمير المؤمنين، [وقلت للآخر: من أنتَ؟ قال: وافدُ إفريقية، أتيتُ بطاعة أهلها إلى أمير المؤمنين][2]، فقلتُ: ما أدخل عليه بمثل هاتين البِشارتين، فدخلتُ عليه وهو يسرِّح لحيتَه، فأخبرتُه، فتغيَّر وجهُه، وسقط المشطُ من يده، فقال: نُعيَتْ إليَّ نفسي، واسترجع، فقلتُ: وكيف هذا؟ فقال: حدَّثني أخي إبراهيمُ الإمام، عن أبي هاشم عبد الله بن محمدِ ابن الحنفية، عن أبيه[3]، عن النبيِّ ﷺ أنه قال: «يقدَمُ عليَّ في مدينتي هذه وافدان في يومٍ واحد: وافدُ السِّند، ووافدُ إفريقية بطاعتهم، ثم لا ألبثُ إلا ثلاثةَ أيامٍ حتى أموت». وقد أتاني الوافدان، فأعظَمَ الله أجرَكَ في ابن أخيك يا عمّ، فقلتُ: كلا يا أمير المؤمنين، فقال: والله ما كذَبْتُ ولا كُذِبْتُ.

ثم وُعِكَ، فأمرني أن أصلي بالناس، ثم أوصاني أن أُغسِّله وأُكفنه، وأُصلِّي عليه، وكتب كتابَ العهد لأخيه، فلما كان يومُ العيد صليتُ بالناس ودخلتُ عليه، فإذا على

---

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٢.

والدواج بوزن رمان وغراب: اللحاف الذي يلبس. القاموس: (دوج).

(٢) ما بين حاصرتين من (د).

(٣) كذا في (د) و (خ)، وفي تاريخ بغداد ١١/ ٢٤٢، والمنتظم ٧/ ٣٥٤: عن علي بن أبي طالب.

وجهه مثل حبة الخَرْدَل، فلما كان في اليوم الثاني صارت مثل العَدَسة، فلما كان في اليوم الثالث دخلتُ عليه، فإذا هو كالزِّقِّ المنفوخ، ومات في اليوم الثالث.

قال المصنف رحمه الله: هذا حديثٌ لا يصحُّ عن النبيِّ ﷺ، وإنما هو من قولِ أبي هاشمٍ، وقد كان كثير المطالعة لكتب الأوائل والملاحم، فلعلَّه وجد ذلك فيها.

وقال المدائنيّ: هاج الدمُ بأبي العباس، فأشار عليه الأطباء بالفَصْد، فلم يُقدم عليه، فحُمَّ ونزل به الموت، وكان يتقلَّب على الفراش، فيبقى جلدُه على الفراش.

ودخل عليه طبيب فقال له بعضُ عمومته: كيف أصبح أميرُ المؤمنين؟ فقال: أصبَحَ بحمد الله بارئاً، فسَلَتَ أبو العباس بيده لحمَ ذراعه، فانسَلَت وتناثر لحمُه، فقال: كيف أكون بارئاً، أو يكون صالحاً من هذا حالُه؟

وكان قد عزم على البيعة لابنه محمد، ثم فكَّر وقال: هو حدَثٌ، وما عذري عند ربي؟ فقالت له أم سلمة امرأتُه: ولِّ غيرَه، واجعله ثانياً، فقال: أخاف أن يقصُر عمرُ من أجعله قبله، فتدرك الخلافةُ محمداً وهو صغير، فيُختلف عليه، فتضيع الأمة، ولكن أُصيِّر الأمرَ إلى مَنْ أثقُ بعقله واحتماله[1]، فكتب اسمَ أبي جعفر، وبعده عيسى بنَ موسى، وجعل العهدَ في منديلٍ وختم عليه بخاتمه، ودفعه إلى عيسى بن عليٍّ.

وقال البلاذري: لما قال أبو العباس: من أولِّي؟ قال له عيسى بنُ عليٍّ: يا أمير المؤمنين، أُذكر رجلاً تمدُّ الناسُ إليه أعناقَهم بعدك، فقال: كنتُ وعدتُ عبد الله بنَ عليٍّ إن قام بهذا الأمر أن أولِّيه الخلافة، فقال له عيسى: فانظر؛ فإنَّ ذلك لا يُقدِّم أجلاً ولا يؤخِّره، فسكتَ، واستشار سعيد بنَ عمرو بن جَعْدة المخزوميَّ، فقال: يا أمير المؤمنين لا أشيرُ عليك بشيء، بل أُحدِّثك حديثاً تستدلُّ به، كنت مع مَسْلَمة بن عبد الملك بالقسطنطينية وقد جاءه نعيُ سليمان وولايةُ عمر بن عبد العزيز، فبكى بكاء عظيماً، وجزع جزعاً شديداً، فقلت له: لاتجزعْ لموت سليمان، ولكن اجزَعْ لخروج الأمر عن ولد أبيك إلى ولد عمِّك، فازداد بكاؤه، فقال السفَّاح: قد فهمتُ، وأخذ بقوله[2]، وقال: أخذتَ

(١) في (خ): من أثق به وبعقله، والمثبت من (د)، وهو موافق لما في أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٢.

(٢) أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٣، وسياقه مختصر مع اختلاف يسير.

بثأرك من عبد الله بن عليّ، وكان عبدُ الله قد عاقبه وآذاه، وبلغ أبا جعفر فقال: سعيد ابنُ أختنا. ومعناه أنَّ أمَّ جعْدة بن هُبَيرة أمَّ هانئ بنتٌ [أبي طالب بن][1] عبد المطلب.

وقال المرزباني: جسّ طبيبٌ نبضَ السفَّاح، فقال له السفَّاح: [من مجزوء الكامل]

انظر إلى ضعف الحَرا ... كِ وذلِّه بيد السّكونِ
يُنبئك أنَّ بنانَه ... هذا مقدمةُ المَنونِ

فقال له الطبيب: إنك صالحٌ، فقال: [من الوافر]

يُبشِّرني بأني ذو صلاحٍ ... يثبّتني وبي داءٌ دفينُ
لقد أيقنتُ أني غيرُ باقٍ ... ولا شكّ إذا وضَحَ اليقينُ

وكان آخرُ كلامه: إليكَ يا ربّ لا إلى النار.

وصلى عليه موسى بنُ عيسى، وكبَّر خمساً.

وقال الطبريُّ: صلى عليه عمُّه عيسى بنُ عليّ، ودفنه بالأنبار العتيقة في قصره[2].

وقيل: دُفن بالهاشمية. وبالأنبار بجنب منبر الجامع قبرٌ يقال: إنه قبرُه.

وقال الطبريُّ: مات بالجدريِّ، وقال هشام: توفي ابنَ[3] ست وثلاثين، وقيل: ابنَ ثلاث وثلاثين سنة.

وكانت أيامُه أربع سنين، وثمانية أشهر، منها ثمانيةُ أشهر وأربعةُ أيام يُقاتل فيها مروان، وملَكَ بعد مروان أربع سنين، وقيل: وتسعة أشهر، وقيل: وعشرة أشهر.

وخلَّف من الثياب تسعَ جباب، وأربعة أقمصة، وخمس سراويلات، وأربعة طيالسة، وخمس مطارف خزّ، وبردةَ رسول الله ﷺ التي أخذها من مروان[4].

وقال المدائني: دفع رسولُ الله ﷺ بُرْداً إلى أهل دُومة الجَنْدل، أو أهل مَقْنا أماناً لهم، فاشتراه أبو العباس منهم أو من أولادهم بأربع مئة دينار، وقيل: بأربعة آلاف

(١) ما بين حاصرتين من (د)، وطبقات ابن سعد ٦/ ٥٣٦.
(٢) تاريخ الطبري ٧/ ٤٧١.
(٣) في (د) و(خ): سنه، والمثبت من الطبري.
(٤) تاريخ الطبري ٧/ ٤٧٠-٤٧١، وليس فيه ذكر البردة.

دينار، فهو الذي تلبسه الخلائف.

ذكر أولاده:

كان له من الولد محمد، والعباس، وعلي، وإبراهيم، وإسماعيل، ورَيْطة، درَجَ الأربعةُ، ولم يبق سوى محمد ورَيْطة، وأمُّ الجميع أمُّ سلمة بنتُ يعقوب بن سلمة بن عبد الله بن الوليد[بن الوليد][1]بن المغيرة المخزوميّ، ولم يتزوّج غيرَها، وكانت قبله عند عبد العزيز بن الوليد بن عبد الملك، فمات عنها، فتزوّجها أبو شاكر مَسْلَمة بنُ هشام بن عبد الملك، فطلّقها لما شَكَتْه إلى العباس بن الوليد بالرّصافة، وقالت: إنه يشربُ الخمر، فقال له العباس: ويحك! أبوك يرشّحك للخلافة وتشرب الخمر؟! فطلّقها. وأُمّها هند بنتُ عبد الله بن جبّار بن سُلْمى بن مالك بن جعفر بن كِلاب.

اجتازت بالحمّة لما طلّقها مَسْلَمة وهي تريد فلسطين، تعرَّضت للسفاح فقال: ليس عندي مال، فأرسلت إليه تسع مئة [دينار][2] فتزوَّجها عليها، ولما ولي الخلافَة ما كان يقطعُ أمراً دونها، وغلبَتْ عليه، وكانت من عقلاء النساء.

ولما توفي أبو العباس خطبَها إسماعيل بنُ عيسى، فغضب أبو جعفر وقال: أيرتقي مرتقى أمير المؤمنين؟! وتهدَّدَه، فأعرض عنها.

ولما مات أبو العباس حزنتْ عليه حزناً شديداً، فدخل عليها أبو دُلامة ليعزّيها، فبكى عندها، وقال: [من الكامل]

إن أجملوا في الصبر عنكَ فلم يكن ... صبري على جَزَعي عليك جميلا
يجدون عنك خلائفاً وأنا امرؤٌ ... لو عشت دهري ما وجدتُ بديلا
إني سألتُ الناس بعدكَ كلَّهم ... فوجدتُ أجودَ من سألتُ بخيلا

فقالت له أمّ سلمة: يا أبا دُلامة، ما أُصيب بأمير المؤمنين غيري وغيرك، فقال: يا سيدتي، لا أنا ولا أنت سواء، أنتِ لك منه أولاد تتسلَّين بهم، وأنا ما لي منه ولد، فضحكت، وقالت: ماتدعُ أحداً إلا وتضحكُه، ولم تكن ضحكتْ قبل ذلك[3].

---

(١) مابين حاصرتين من(د)، وأنساب الأشراف ٣/ ٢٠٣.

(٢) مابين حاصرتين من (د).

(٣) الأغاني ١٠/ ٢٥٥، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٢٨٧.

وتأخَّرت وفاةُ أمِّ سلمة إلى أيام محمد المهديّ.

ودخل خالد بنُ صفوان على السفّاح، فخلا به، وقال: يا أمير المؤمنين، إني فكَّرتُ في سَعَة سلطانك ومالك، وإذا قد ملكتكَ امرأة [واحدةٌ] اقتصرتَ[1] عليها، فإن مرضَتْ مرضتَ، وإن عوفيَتْ عوفيتَ، وقد حرَّمتَ على نفسك الالتذاذَ بالجواري، إنَّ منهنَّ الطويلة الغيداء، والبضّة البيضاء، والرقيقة السمراء، والرشقة اللَّعساء، والمولَّدات من المكيات والمدنيات والعراقيات والشاميات، ذوات الألسن العذبة، والقدود المُهفهفة، والأصداغ المُزَرْفنة، والعيون المكحّلة. ووصف النساء فأطال، فقال له أبو العباس: والله ما طرَقَ سمعي أحسن من هذا القول، أعِدْه، فأعاده أحسن مما ابتدأه، ثم قام فخرج، وبقي السفَّاح مطرقاً، [مغموماً مفكِّراً، فدخلت عليه أمُّ سلمة، فسألته عن حاله، فلم يُجبها، فألحَّت عليه][2]، فأخبرها، فقالت: وما قلتَ لابن الفاعلة؟ فقال: سبحان الله! ينصحُني وتشتمينه؟! فأمرت غلمانَها بضربه، فاختفى، ولجَّ أبو العباس في طلبه، فأحضروه، فدخل وجاءت أم سلمة فوقفت خلفَ السِّتر، فقال له: ياخالد، أعِد الكلامَ الذي قلتَ لي ؛ فإني مشتاقٌ إلى سماعه، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، أخبرتُك أن العرب اشتقَّت اسمَ الضرَّة من الضرر، والثلاث كأثافي القِدْر [يغلي عليهن]، والأربع شرٌّ [مجموع لصاحبه]، ولم يكن أشرافُ العرب يقتنون سوى امرأة واحدة، وأخبرتُك أن أبكار الجواري رجالٌ لا خصى لهم، وقلتُ لك: إن بني مخزوم جرثومةُ قريش، وإن عندك سيدةُ نساء الدنيا، وأنَّى مثلها؟ فقال السفاح: برئتُ من قرابتي من رسول الله ﷺ إن كنتُ سمعتُ منك هذا سوى الساعة! فقالت أم سلمة: صدقتَ يا عمّ، وضحكَتْ، فقال له أبو العباس: ويحك! ما هذا ؟ قال: هذا الذي تسمعُ، أردتَ أن تُهلكني؟ فقام فخرج، فبعثت إليه أمُّ سلمة بعشرة آلاف درهم، وتَخْتَ ثياب، وبرذون[3].

وأما محمد بن السفَّاح فولد بأرض البلقاء، وخرج مع أبيه إلى الكوفة، ولَّاه عمُّه

(١) في (خ): فتضرب، والمثبت من (د)، ومابين حاصرتين منها كذلك.

(٢) مابين حاصرتين من (د).

(٣) مروج الذهب ٥/ ١١٢-١١٨، وتاريخ دمشق - تراجم النساء ص ٥٢٧-٥٢٨، وما بين حاصرتين منهما.

المنصور البصرةَ، وكان غيرَ محمودِ السيرة، وكان أبو جعفر يكرهُه، فلما ولّاه البصرة بعث معه بالمُجَّان والزنادقة ليبغِّضَه إلى الناس.

وتعشَّق محمد زينبَ بنتَ سليمان بنِ عليٍّ، وقال: [من السريع]

زينبُ ما ذنبي وما[ذا] الذي غضبتُم فيه ولم تُغضَبوا
والله ما أعرف لي عندكم ذنباً ففيم العَتْب يا زينبُ[1]

وكان يركب إلى المِرْبد[2] يتصدّى لها لعلّها تكون في بعض المناظر لتنظرَ إليه، ومن شعره: [من السريع]

لو أبصر العاذلُ منكِ[الذي] أبصرتُه أوسع في العذر[3]

وقيل: إنما كان يُشبِّب بزينب بنت محمد بن عبد الله بن حسن، وهي التي أراد الدخول بها ليالي قُتل أبوها، وسنذكر ذلك إن شاء الله تعالى.

وأغزاه أبو جعفر الدَّيلَم سنة إحدى وأربعين ومئة في أهل الكوفة والبصرة والجزيرة، وولّاه البصرة سنة سبع وأربعين، وكان محمد طويلاً جساماً، أحول، يلوي العمود الحديد بيده، وكان يروم الخلافة، وتُوفي ببغداد بعد الخمسين ومئة.

ويقال: إن المنصور سمَّه، كان بالبصرة طبيبٌ يقال له: الخصيب، يُظهر النصرانية، وهو زنديقٌ لا يبالي مَنْ قتل، فأرسل إليه المنصور أن يتوخَّى قتلَ محمد، فاتَّخذ سماً قاتلاً وأسطر عليه، فعرضت له حرارةٌ، فدسَّ إليه السمَّ في شربةٍ، فشربها فمات، فكتبت أمُّه إلى المنصور تخبره أن الخصيب قتلَه، فأمر بحمله إليه، فضربه ثلاثين سوطاً ضرباً خفيفاً، وحبسه أياماً، وأعطاه ثلاث مئة درهم وأطلقه.

وأما رَيْطة فتزوَّجها محمد بنُ عبد الله بن حسن بن حسن، فقتل قبل الدخول بها، فتزوَّجها محمد المهديّ، فولدت له عليًّا وعبدَ الله، وكانت من أشدِّ الناس قوةً، وكذا

(١) أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٤، وأشعار أولاد الخلفاء من كتاب الأوراق للصولي ص٤.

(٢) المربد: موضع بالبصرة من أشهر محالها، كان يكون سوق الإبل فيه قديماً، ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس. معجم البلدان٥/ ٩٨.

(٣) ما بين حاصرتين من (د)، والبيت مع آخرين قبله قالها محمد في زينب، وقد أوردها الصولي في كتاب الأوراق (أشعار أولاد الخلفاء) ص٨.

كان أخوها محمد، ركب يوماً مع [المهدي] وهو أمير، فعاتبه[١] في شيء، وغمز ركابَه، وضغط رجلَه فيه حتى ضاق به الحديد، فلم يقدر على إخراج قدمه منه حتى ردَّته أختُه رَيْطة.

وأولُ مَنْ وزر لأبي العباس أبو سلمة، ثم خالد بنُ بَرْمَك، وقاضيه ابنُ أبي ليلى، وحاجبه أبو غسان مولاه، وقيل: والربيع، ونقشُ خاتمه: الله ثقةُ عبدِ الله، وبه يؤمن.

أسند عن أخيه إبراهيم الإمام، وروى عنه عمُّه عيسى بنُ عليّ، وابنُ أخيه محمد المهدي.

ولما مات جزِعَ عليه أبو جعفر جَزَعاً عظيماً، واستقدَمَ حمَّاد الراوية من البصرة، فلما دخل عليه قال: أنشدني شعرَ هفّان بن همام[٢] يرثي أباه، فأنشده: [من الطويل]

خليليَّ عُوجا إنها حاجةٌ لنا ... على قبر همّام سقته الرواعدُ
على قبر مَنْ يُرجى نداه ويُبتغى ... جَدَاه إذا لم يحمد الأرضَ رائد
كريم النَّثا حلو الشمائل بينه ... وبين المزجَّى نَفْنَفٌ متباعدُ
وضعنا الفتى كلَّ الفتى في حَفِيرة ... بحُرِّين قد ناحت عليه العوائدُ
صريعاً كنصل السيف تضرِبُ حولَه ... ترائبَهنَّ المُعْوِلاتُ الفواقدُ[٣]

فبكى أبو جعفر حتى اخضلَّت لحيته.

عبد الملك بن عُمَير

أبو عمر اللَّخْميّ، وُلد لثلاث سنين بقين من خلافة عثمان رضوان الله عليه، وهو من الطبقة الثالثة من أهل الكوفة.

---

(١) في أنساب الأشراف ٣/ ٢٠٣: عابثه المهدي. وهو الصواب، وما بين حاصرتين منه كذلك.

(٢) سماه صاحب الحماسة البصرية ١/ ٣٥٢: أهبان بن همام بن نضلة الأسدي.

(٣) الأبيات مع غيرها في الأغاني ٦/ ٨١، ونسبها صاحب الحماسة البصرية ١/ ٣٥٢-٣٥٣ إلى أهبان بن همام.
وقوله: كريم النثا، تحرف في (د) و (خ) إلى الثنا.
والنثا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيئ. اللسان: (نثا).
والمزجى من كل شيء: الذي ليس بتام الشرف ولا غيره من الخلال المحمودة. اللسان (زجا).
وحُرِّين: بلد قرب آمد. معجم البلدان ٢/ ٢٥٢.

كان يقول: والله إني لأُحدِّث بالحديث وما أدَعُ منه حرفاً[١].

وولي قضاءَ الكوفة قبل الشَّعبي، وروى عن جماعة من الصحابة وكثير من التابعين، وتُوفي بالكوفة سنة ستٍّ وثلاثين ومئة، وقال: لي مئةٌ وثلاثُ سنين، وعاش بعد هذا القول سنة.

عثمان بن عروة بن الزبير[٢]

من الطبقة السادسة، وقيل: الرابعة من أهل المدينة، وأمُّه أم يحيى بنتُ الحَكَم بن أبي العاص بن أُمية، وكان من وجوه قريش وساداتهم، جواداً، خطيباً، جميلاً.

وَفَد على مروان بن محمد فأعطاه مئة ألف درهم، فلما قدم المدينة أغلى الناسُ كِراء الحُمُر من كثرة ما يرجون جوائزَه.

وكان على صدقات الزُّبير حتى مات، وكان الناسُ قد أجمعوا على محبَّته، وكان يقول: الشكرُ وإن قلَّ جزاءُ كلِّ نائلٍ وإن جلَّ.

حدَّث عن أبيه، وروى عنه أخوه هشام بنُ عروة وغيره، وكان ثقةً، صدوقاً، فاضلاً.

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ٤٣٣.

(٢) ترجم له ابن سعد ٧/ ٤٦٢ في الطبقة الرابعة، وكذلك نقل عنه ابن عساكر في تاريخه ١١/ ١٣٦ (مخطوط)، ولم نقف على من ذكره في الطبقة السادسة.